الفصل الثالث

مورفولوجية مدينة الكوفة

أولاً- مرحلة نشأة المدينة

ثانيًا- مرحلة نمو المدينة القديمة

ثالثًا- المرحلة المعاصرة

رابعًا- المخطط الأساسي للمدينة ١٩٧٤، ١٩٨٢م

خامسًا- مواد البناء المستخدمة

سادسًا- إرتفاعات المباني

الفصل الثالث
مورفولوجية مدينة الكوفة

يهتم هذا الفصل بدراسة المراحل التاريخية والمورفولوجية لمدينة الكوفة ونموها عمرانياً ووظيفياً منذ نشأتها وحتى الوقت الحالي ، وانعكاس ذلك التطور على خصائص المدينة وحجمها. اذ يعد نمو المدن من العمليات المعقدة يظهر فيه الاختلاف والتباين في تفاصيل الوحدات العمرانية او المعمارية زمانياً ومكانيا (ابوصبحة، ٢٠٠٣م، ص١٩٥)، ومن المعروف ان المدينة تنمو وتتطور من خلال بعدين أساسيين هما الزمان والمكان، وهذا لا يعني ان البعد الزمني الذي يمثله تطور الأحداث التاريخية، مسؤول إلى حد كبير عن فهمنا بطبيعة إزدهار المدن وأنحطاطها، سواء كانت طبيعية أم بشرية، بل للبعد الاخر المتمثل بالمكان دور كبير إذ يعبر عن أهمية العوامل الجغرافية (الموضع والموقع) في نشأة المدن وتغير ادوارها ووظائفها (ابوعياش، ١٩٨٠م، ص٨١).

وعليه يقصد بالمورفولوجية: أنها تعني تفاعل الشكل مع الوظيفة لينتج منها مظهر المدينة وهو الكل المرئي منها(الأشعب + محمود ، ١٩٨٣م، ص٥). وأما المرحلة المورفولوجية فيقصد بها مدة من التاريخ الحضاري لأية مدينة، تنتج فيها أشكال ونماذج مادية لها ميزتها الحضارية، تلبي احتياجات اجتماعية واقتصادية لسكان المدينة في تلك المرحلة (الأشعب،١٩٨٢م، ص ص ١٨-١٩).

أن الشكل الذي تأخذه المدن لفترات حضارية مختلفة لا يبقى ثابتاً، بسبب التطور التقني السريع، وتحسن الحالة الاجتماعية والاقتصادية، لساكني التجمعات السكنية التي كان لها أثر في مورفولوجية المدينة الذي يظل شاخصاً فيها (Jams.H.Johnson,1969,P50). وبهذا يمكن القول ان المورفولوجية هي علاقة بين ثلاثة متغيرات وهي استخدامات الارض والشكل والوظيفة خلال مدة زمنية ينتج عنها خصائص عمرانية مميزة لكل مرحلة، وتظهر تلك الخصائص من خلال مواد البناء وارتفاع السقوف والنوافذ والشرفات والطراز المعماري ووجود حديقه ام لا ومساحة الارض السكنية وعرض الشوارع ونمط البناء وطبيعة تنظيم المكان فضلا عن خصائص عمرانية اخرى ستحدد في دراستنا هذه لكل مرحلة مورفولوجية للمدينة .

أولاً- مرحلة نشأة المدينة :-

تبدأ من١٧هـ / ٦٣٨م وحتى ٥٠هـ/٦٧١ م ان الكوفة مدينة عراقية، تقع على جانبي الفرات ، وهي تتبع اداريا محافظة النجف الاشرف وتبعد عنها بعشرة كيلومترات إلى الشمال الشرقي . وهي ثاني مدينة اسلامية أسست في العراق بعد الفتح العربي، أسسها وبناها القائد سعد بن أبي وقاص عام ١٧هـ / ٦٣٨م بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) وتشير معظم الدراسات التاريخية إن الدواعي لتأسيسها تعود لعاملين هما :

١- **عامل عسكري:** لاتخاذها نقطة ارتكاز وقاعدة حربية ومركز تموين للجيوش المقاتلة .

٢- **عامل جغرافي:** اذ أحس المسلمون بعد الفتح العربي للعراق بحاجتهم للإستقرار فعمدوا إلى البحث عن مكان يصلح لإقامتهم ، فأستقر رأيهم بادئ الأمر على المدائن عاصمة الدولة الساسانية ، ولكن سرعان ما كرهوا الإقامة بها حيث ان العرب فطروا على حب الصحراء ذات الفضاء الواسع والهواء النقي وكان موضع المدائن وإحاطته بالمياه والمستنقعات يجعل المدينة عرضة لانتشار البعوض واخطار الفيضانات مما يهدد أمن المسلمين (الطبري،١٩٧٠م، ص١٩١).

وكان العامل العسكري في مقدمة العوامل، لذا أطلق على الكوفة لفظ (كوفة الجند) (سروليس،١٩٦٦،١٩٦٨م، ص ٣٢٣)، وقد اختيرت لتكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ثم أصبحت معسكرا ثابتا، فقد أشارت المصادر إلى ان الكوفة "دار هجرة ومنزل جهاد" و "دار الهجرة وقيروان" (النجدي،١٩٠٠م، ص٢١٧) ومعنى القيروان معظم الكتيبة (الطنجي، ١٩٦٧م، ص١٢٠)، وأطلق لفظ ((المقاتلة)) على المرابطين على حدود الكوفة والزاحفين نحو العراق من شبه الجزيرة العربية. وهذا جعل مدينة الكوفة تمثل ثمرة مباشرة لعملية من عمليات الفتح الخاطف معللة إياها ومكونة امتدادا لها (قوصي،١٩٦٨م، ص٢٢١).

ولما إستقر العرب في الكوفة أرادوا أن تكون لهم مدينة تحاكي النمط لفارسي الذي شاهدوه في اثناء حروبهم في العراق وايران وفكروا ببيوت من القصب والبردي لتكون اكثر ملاءمة واكثر واقعية، إلا ان هذا النمط من البناء لم يثبت امام الظروف الطبيعية وعاديات الزمن(حمدي، ١٩٦٤م، ص ٩٦) فقد وقع في هذه المدينة الناشئة حريق دمر ثمانين عرشا(الاعشاب) ولم يبق فيها قصبة (الغاب) (السعدي، ٢٠٠٢م، ص٢٥). ولذا حتم عليهم اختيار منازل من اللبن والطين اكثر ملاءمة واستقرار أو ثباتاً من بيوت

القصب امام تحديات الطبيعة والزمن. وهكذا سارت الكوفة ترسم طريقها نحو المدينة خطوة خطوة وكان المسجد اول ما اقامه سعد بن ابي وقاص من المنشآت على هذه الأرض الجديدة ثم بنى بعده قصر الامارة وبيت المال وخططت المناهج (الاحياء) . حول المسجد ثم وزعت القبائل من حول المسجد على هذه المناهج وهكذا بدأت قوالب اللبن ترفع القواعد في بنيان هذه المدينة الناشئة، إلى ان بدأ تطور الكوفة يتلمس طريقه نحو المدينة الثابت في إمارة المغيرة بن شعبة.سنة٢٢هـ فأدخل الآجر* لاول مرة وبشكل محدود في بناء بعض الدور فيها واول تلك المساكن بنيت في محلة كندة**. واصبح الآجر المادة الرئيسية للبناء في إمارة زياد بن ابيه٥٠ هـ /٦٧٠م وهكذا تحولت الكوفة إلى مدينة منظمة بيوتها من الآجر.

وكانت الكوفة لفترة مقراً لحكم الإمام علي(عليه السلام) وقد قتل فيها عام٤٠هـ/٦٦١م، ثم ازدهرت في فترة الحكم الاموي ووصلت إلى عظمتها في القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادي حيث بلغت مساحتها ٤٢,٧ كم٢ **(محسن، ١٩٨٨م، ص٨٣)** وفي خلال الحكم العباسي تمتعت المدينة كعاصمة للخلافة حيث بويع ابو العباس السفاح بالخلافة عام ١٣٢هـ / ٧٤٩م، ولكن فقدت اهميتها نتيجة امور اخرى منها بناء بغداد سنة ١٤٤هـ /٧٦٢م ، وظهور مركز مدني جديد وهي ضاحية النجف عام ٩٧٧م جوار قبر الخليفة الرابع علي ابن ابي طالب (عليه السلام) **(ناصر، ٢٠٠٣م، ص٢١٧)**، وتفاقم حالة التعصب مابين الحواضر الاسلامية المصبوغة بصبغات مذهبية وسياسية مما شجع على سرد الكثير من الاساطير حول الكوفة والنجف والبصرة التي كان الهدف منها التعبير عن التفاؤل لهذه الحواضر بالنمو والازدهار.

إضافة إلى هذه العوامل هناك عامل يعد مهمًا اسهم في سرعة تدهور مدينة الكوفة الا وهو تحول نهر الكوفة إلى نهر سورا **(الحلة)** وانقطاع مجراه إذ بدل مجراه بالتحول في زمن البويهين سنة٣٣٤هـ/٩٤٦م، ٤٤٧هـ/١٠٥٦م، بسبب تراكم الترسبات في حوضه **(ناصر،٢٠٠٣م، ص٢١٧)**.

---

*) قيل ان حجارة مدينة الحيرة استعملت في بناء مدينة الكوفة وقد نهج اعراب تلك الديار تلك الطريقه وهدموا قصور الحيرة وبيوتها على مر الوقت : راجع غنيمة، يوسف رزق الله، الحيرة . المدينة ، المملكة العربية ، بغداد، مطبعة دنكور الحديثة، عام١٩٦٣م، ص١٢.

**) لفظة محلة هنا لاتتماشى مع المعايير التخطيطية الحديثة وهي عبارة عن مجرد اسماء تطلق عليها وقد اعتمدت في تسمية المحلات على الجدران الخاصه لمدينة الكوفة الصادرة عن الجهاز المركزي للاحصاء لسنه ١٩٧٧م المصدر : المظفر ، محسن عبد الصاحب ، مدينة النجف الكبرى ، رسالة ماجستير ،قسم الجغرافية ، كليه الاداب ، جامعه الكوفة عام ١٩٧٥م، ص٩.

وقد زار المدينة الرحالة ابن جبير في القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) وقال ان معظمها خراب وكانت المدينة بدون سور وغير محمية ولذا ساهم ذلك بسرعة في خراب المدينة حيث الغارات الكثيرة، فقد هاجمتها قبائل خفاجة عدة مرات وخربت اكثر مساكنها المبنية من الطوب.

وقد خطت الكوفة وفق نظام الأسباع، وكان الغرض منه إحكام الإشراف على القبائل وتنظيم العطاء، وكانت منازل الصحابة تتركز حول المسجد، وكانت من القصب ثم بنيت من اللبن، وقد حددت المصادر إحدى وعشرين خطة قبلية في الكوفة (ماسنيون، ١٩٧٩م، ص ص٦- ٣٧)، فاذا لم تكن اسباع الكوفة محلات بلدية فهي قطعات قبلية نسبة إلى النسب وعندما قدم الخليفة علي ابن ابي طالب)عليه السلام (إلى الكوفة غير نظام الاسباع وعبأها بترتيب جديد,واصبحت تكتلا لأقسام العسكرية في الكوفة على غرار ما كان في البصرة حيث أصبحت الأسباع أربعة مناطق تدعى بالأرباع. انظر شكل رقم (٢٠) .

ثانيًا- مرحلة نمو المدينة القديمة :-

في هذه المرحلة التي بدأت عام (٥٠ هـ/ ٦٧١م) وحتى (١٣٨٩هـ/ ١٩٧٠م) أخذت المدينة في الاتساع نتيجة لازدياد عدد سكانها ومايتبعه من ازدياد المنشآت المعمارية وتوفير مايتطلبه ذلك من خدمات عامة ومجتمعية وبما في ذلك الجانب الدفاعي (الاشعب، ١٩٨٢م، ص١٦).

لم تكن الكوفة في بداية عهدها سوى اكوام من الاكواخ القصبية والخيام التي نصبت بصورة مؤقتة حيث كانت النساء حينذاك يرافقن الجند وذلك من سنة (١٧هـ/٦٣٨م) وحتى سنة (٢٢هـ/ ٦٤٣م) في امارة (المغيرة بن شعبة الثقفي)، اي ظلت على حالها طيلة الاعوام الخمس الاولى من تأسيسها حيث صاروا بعد مدة من الزمن يشيدون المساكن بالآجر بسب زياده عدد سكانها، وأول تلك المساكن بنيت في محلة كندة جنوب مسجد الكوفة وهي منازل قبيلتي مراد بن مذحج والخزرج من الانصار الاولى. كانت التجمعات السكنية في بداية نشوء الكوفة مقسمة إلى سبع مناطق عسكرية تدعى(الاسباع) نسبة إلى النقاط السبع لحشد مقاتلة القبائل ووفقا للقيادات والتعبئة عند النفير والخروج للجهاد في المواسم، ثم توزيع الغنائم والعطايا بعد العودة من قبل رؤوس الاسباع (اليعقوبي، ص٣١٠ -٣١١).

وكانت اولى المحلات السكنية التي ظهرت في المدينة متمثلة بمحلة السراي القريبة من النهر وبعض الدور القريبة من المدينة القديمة ومقابل جامع الكوفة ويعود ذلك إلى بين عامي ١٩٢٠/

١٩٧٠م، وظهرت محلات قديمة آخرى متمثلة بالمحلة الجديدة والقرية السهيلية القريبة من مسجد السهلة القديم.

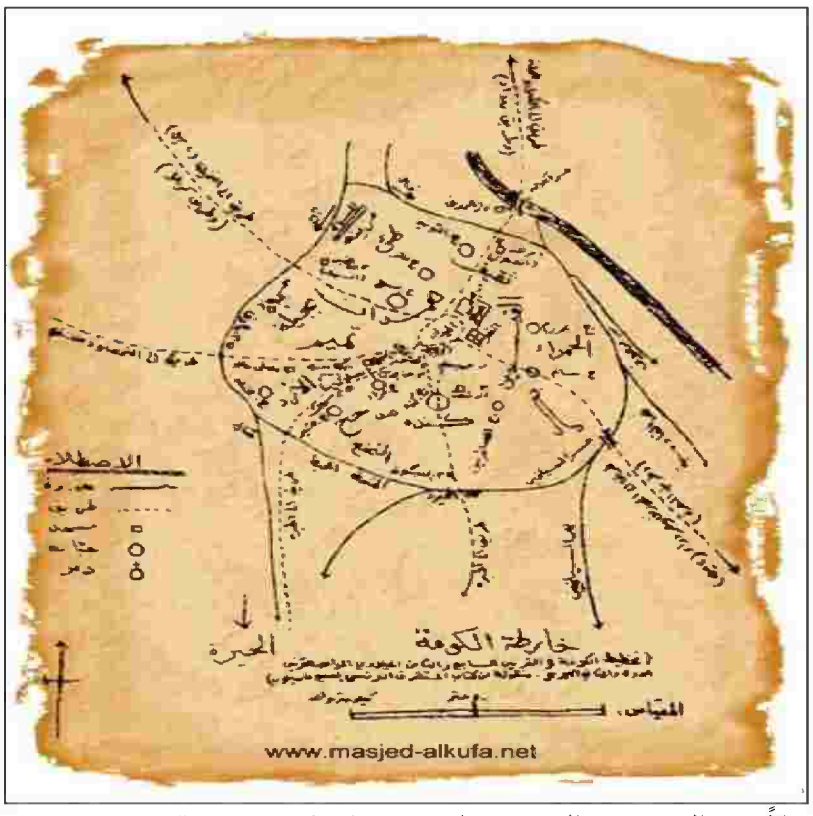

نقلاً عن المستشرق الفرنسي ماسنيون، ١٩٧٩م، ص٣٠.

شكل رقم (٢٠) الكوفة في القرنين الأول والثاني الهجري

وكانت مراحل التوسع العمراني بجانب النهر وعلى الطريق الرئيس الذي يقطع المدينة قادما من بغداد–الحلة–الكوفة –النجف، واستمرت المحلات السكنية الآخرى في الظهور وهي محلة الرشادية الاولى والثانية **(الكريشات)** وهذا مابين عامي ١٩٦٠–١٩٦٥م ومحلة ١٧ تموز وحي الشعراء مابين ١٩٦٥–١٩٧٠م وظهور محلة دور معمل السمنت في فترة الثمانينيات بالتوسع وظهور احياء جديدة تقع إلى جنوب المدينة إلى الغرب من الطريق العام المؤدي إلى النجف وكري سعده [*] جنوباً وامام السهلة غربا وهي احياء المتنبي وحي الشرطة وحي الشهداء والعسكريين وحي ميسان.

أهم مميزات هذه المرحلة :-

*) كري سعدة (كري السدير) جدول اروائي اثاره ظاهرة قرب الخورنق وهى مدينة صغيرة في الحيرة ، كما يوجد خلف الحيرة وهو الذي يسمى اليوم بكري سعدة يشق اثار الحيرة والكوفة اخذ مياهه من شمال سدة الهندية وكانت له صفات اروائية على مايسمى بارض الطفوف على عهد الحكومات العربية الاسلامية ويعتقد انه جدول اثري قديم يطلق عليه بخندق سابور.

أ- المنازل:-

كان في الكوفة ١٥ منطقة والتي اقضها سعد بن ابي وقاص للقبائل المختلفة و هذه المناهج قد اختطت من المسجد باعتباره مركزا لها.

ب- الشوارع:-

كان في الكوفة شوارع سميت في ذلك العهد بالسكك و عرض السكة (٥٠ ذراعًا) من أذرع اليد و هذه السكة تنار أحيانا بواسطة المشاعل أثناء الليل. وكانت هذه الشوارع تسمى باسماء التجار والقبائل الساكنه بجوارها ومنها (سكة عمير في مساكن كنده) و(سكة جرير اللحام) وكان الغرض منها هو طريق البريد التي كانت تمر امام مبنى البلدية قديمًا (الكناسة) عندما كان البريد يسير نحو دمشق .

جـ - الجبانات(المقابر):-

كانت تقع في مخطط القبائل و هي معروفة جيدا و منها جبانة كندة التي كانت فسحة واسعة ليس فيها بناء أو عمارة (**الموسوي، ١٩٨٢م، ص٥٦**) وكانت هناك جبانة السبيع .

د- الأسواق:-

كانت الأسواق تمتد من القصر و الجامع إلى منازل القبائل القريبة من الميدان و كانت سقوفها في بادئ الأمر من الحصر و ظلت كذلك حتى زمن الوالي (خالد القسري) حيث عقدت بالأحجار ومن المهم أن هذه الأسواق و ترتيبها صارت نموذجا و قدوة لسوق بغداد. واشتهرت مدينة الكوفة بصناعة الوشي والخز[*] (ديوان المحتسب) فقد كان في السوق بين الحوانيت الصيارفة و السماسرة التي كانت منتشرة في والعمائم والمناديل والسيوف والرماح والخزف والدهان،يقول ابن الفقيه: ((إن للكوفة مكانة في صناعة النسيج منذ تأسيسها حتى العصر العباسي)) (**الاشعب، ١٩٨٢م، ص١٦**)، ولمدينة الكوفة منطقتان ذو أهمية في الحياة التجارية والاقتصادية هما: **الأري و الكناسة**، ويطلق لفظ (**الأري**) على المساحة الكبيرة المخصصة للخيل، ويقول اليعقوبي (هو فضاء كانت فيه خيل المسلمين) (**الطبري، ١٩٦٨م، ص١٣٤**)

---

*) الملابس المطرزة بالخرز .

هـ – دار الرزق:-

تأسس في الكوفة منذ أول الأمر مخزن كبير يدعى دار الرزق عند مخرج الجسر المنصوب على الفرات وذلك بغية حفظ أموال الصدقات أو الغنائم قبل توزيعها بين المقاتلة و قد لعب هذا المخزن الذي كان يوجد نظيره في البصرة و الفسطاط دورا أساسيا مهما في الحركات و الاضطرابات التي حدثت في الكوفة و بعد تأسيس دار الرزق نصبت سلسلة على رأس الجسر مقام مركز الكمرك على العهد الساساني (شلاش،١٩٤٧م،ص٨٩)

و– الكنّاسة :–

وهي ضاحية قديمة كانت محلا لرمي الأنقاض لبني أسد **(مزبلة)** عند مخرج الكوفة من الغرب ثم أصبحت تجارة النقليات و صناعتها متمركزة هناك لأنها كانت ساحة لإبل القوافل و موضعا لتحميل البضائع و تفريغها و يقال أن نخاسة العبيد كانت هناك أيضا و سوق الغنم كانت شرق الكناسة و لما انحطت الكوفة أصبحت الكناسة منطقة منعزلة(ابو الفداء، ١٣٣١م، ص١٢٠) .

ز– المسجد الجامع و مساجد المحلات:-

يقع المسجد الجامع (جامعة الكوفة الكبير وهو أقدم جامع في المدينة) شرق الميدان في وسط الكوفة و هناك مساجد أخرى عديدة عدا المسجد الجامع مثل مسجد عبد القيس ، محذج ، بني بهذله ، بني مره (المظفر، ١٩٧٥م، ص١٢).

حـ – القصر و الميدان:-

يقع القصر إلى الجنوب من المسجد الجامع مع انحراف قليل نحو الشرق و قد جدد بناؤه في زمن الخليفة عبدالملك بن مروان والميدان الذي كان يطل عليه القصر من الغرب وفي وسطه مصطبة كبيرة معدة للاجتماعات وكان يسمى أيضا **(رحبة علي)** أما بيت المال فقد كان داخل القصر.

ط– مصادر المياه والاسوار:–

لم يكن في الكوفة بادئ الامر سور او خندق لحمايتها وان ما اجمع عليه الباحثون هو وجود حفرة في الجهة الشماليةالغربية في منازل مزينة وكانت تسمى (مسناة جابر) كذلك كانت توجد قناة في الجنوب الشرقي تسمى نهر البويب ومنها مدت الجداول نحو جرف العتيق حيث الحمامات والساقيات .وفي سنة ١٤٥هـ/٧٦٢م امر الخليفة ابوجعفر المنصور بحفر خندق كبير حول الكوفة وفتح له مجرى

من الفرات ونصبت عليه القناطر ذات الابواب لتسهيل المواصلات التجارية؛ ولم تكن في الكوفة ابار صالحة للشرب طيلة المائة عام الأولى بل كان يتم نقل الماء لها من شريعة الفرات(حافة النهر) وبعد زمن تم حفر بئرا فيها فوجد ماءًا صالحًا للشرب فسميت بئر علي(شلال، ٢٠٠٢م، ص٦) .

يبن الشكل رقم (٢١) شكل مخطط المدينة في ذلك العهد موضح عليه تقسيم القبائل الساكنه فيها ويوضح المسجد في وسط المدينة ومن حوله المساكن والساحات المربعة بين القبائل، وواضح من المخطط ان مساكن الامراء والصحابة قريبة من المسجد وكذلك عرض الشارع فيها.

وفي هذه المرحلة تحولت الكوفة إلى مدينة مبانيها منظمة وأصبح الآجر هو المادة الرئيسة المستخدمة في البناء في زمن امارة زياد بن ابيه؛ حيث ازدهرت الكوفة ازدهارًا كبيرًا في فترة الحكم الاموي ووصلت إلى أوج عظمتها في القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادي. وفي خلال الحكم العباسي تمتعت المدينة كعاصمة للخلافة حيث بويع أبو العباس السفاح بالخلافة فيها سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)، ولكنها فقدت أهميتها تدريجيًا بسبب عدة أمور منها بناء بغداد سنة(١٤٥هـ/٧٦٢ م) وظهور مركز مدني جديد جوار قبر سيدنا علي ابن ابي طالب (عليه السلام) سميت ضاحية النجف عام (٣٦٦هـ/ ٩٧٧ م) وظل مسجد الكوفة شاخصًا وحوله أطلال مهدمة بعكس النجف التي جمع أهلها المبالغ الطائلة لتسويرها و حمايتها فكانت في عام (٥٩٧هـ/ ١٢٠١م) محمية بسور بينما الكوفة لم يكن هناك ما يحميها، بفتح جدول الهندية عام(١٢٠٤هـ/١٧٩٠م) مع عودة المياه إلى مجرى الفرات القديم ظهرت مدن جديدة تبادلت العلاقات مع النجف ونزول عشائر عربية كثيرة على جانبي النهر مثل ال فتلة و بني حسن و غيرهم (شلال،٢٠٠٢م، ص٧).

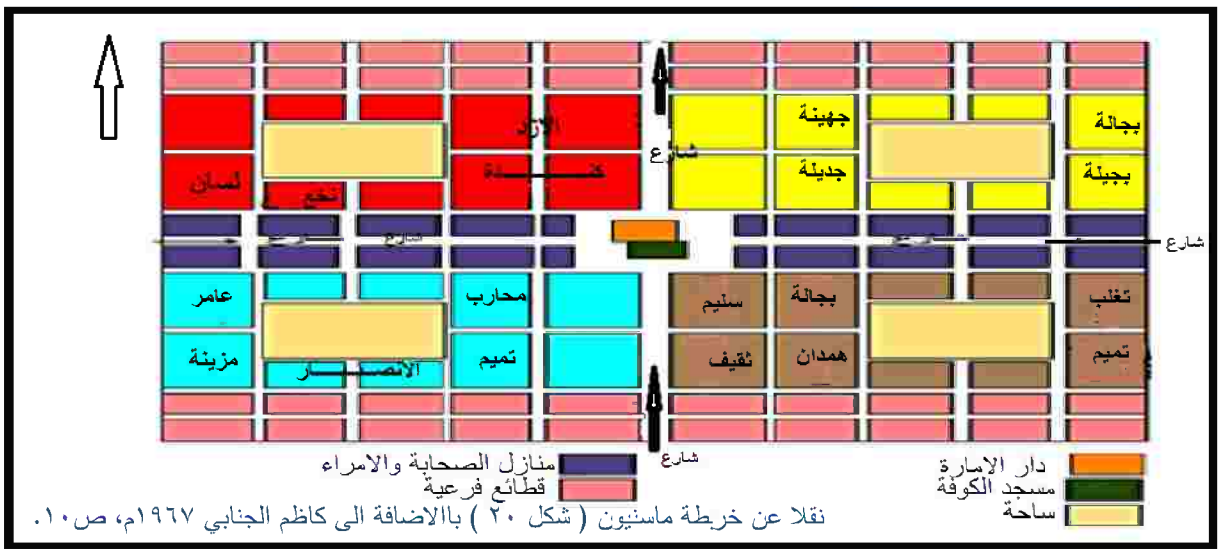

شكل رقم (٢١) مخطط مدينة الكوفة عام٣٥هـ /٦٥٦م

ثالثًا- المرحلة المعاصرة :-

انحصرت هذه المرحلة بين سبعينيات القرن التاسع عشر(١٨٧٠م)، وخمسينيات القرن العشرين(١٩٥٠م). ومن مواد البناء المستخدمة في هذه الفترة الاخشاب المتوفرة في العراق والتي استخدمت بكثرة في بناء بيوت الفئة الفقيرة او متوسطة الدخل وهي النخيل وتعتبر من اردأ انواع الاخشاب من حيث مقاومة اثقال مواد البناء فوق السقف او من ناحية تحملها للعوارض الجوية.كما في الصورة رقم (١) التي يوضح شكل البناء القديم من الخشب والطابوق في الوقت الحالي .

وكان هيكل المدينة العمراني محدود الاستخدام التجاري والسكني للأرض ، وكان الاستخدام السكني يتصف بخصائص تكاد تكون منفردة عن بيوت المدن الأخرى من حيث البناء والتصميم وفي مقدمتها وجود الأحواض والآبار والسراديب والمقابر، وهذا أعطى المدينة خصائص معمارية وتخطيطية وفنية متميزة، إذ تطل على الأزقة الضيقة شناشيل(*) على اختلاف أنواعها وأشكالها كما في الصورة رقم(٢). ويتصدر مدخل البيت باب خشب كبير ذو مصراعين تعلوه وتحف به من الجانبين زخارف هندسية وتزين الباب زخارف بنائية تزيد من جمالية واجهة البيت **(الحكيم، ٢٠٠٥م، ص٢٣)**، ويؤدي الباب إلى مجاز او ممر يطلق عليه لفظ (الدولان) يختلف في تصميمه من بيت إلى آخر، منه المدخل المنكسر، وهو الأكثر شيوعاً والمدخل ذو المحور المستقيم، ومنه إلى ساحة البيت المكشوفة في الغالب ومبلطة بالطابوق الفرشي تطل عليه عدة غرف، وغرفة البراني معزولة عن الدخلاني، وسقوف هذه الغرف تكون على شكل القباب القديمة (طابق معقود من الجص والآجر) أو مسقفة بجذوع النخل أو جذوع الاشجار الأخرى وفوقها كميات من السبوس وهو قشور الارز أو الرماد والأتربة. ويعد الفناء أهم عناصر السكن ضمن هذه المرحلة فهو يخدم وظائف متعددة إذ انه فراغ خارجي لاستعمال جميع افراد العائلة كما أنه يقوم بدور المنظم لدرجات الحرارة داخل البيت، فنجده ينعم بالظل نهاراً ويكون مفتوحاً على السماء ليلاً إذ يحتفظ بهواء الليل البارد لساعات النهار الحارة، كما في النموذج التخطيطي في الشكل رقم (٢٢).

---

*) الشناشيل : اغطيه خشبية تغطي واجهات الشبابيك التي تطل على الشارع (مشربيات)

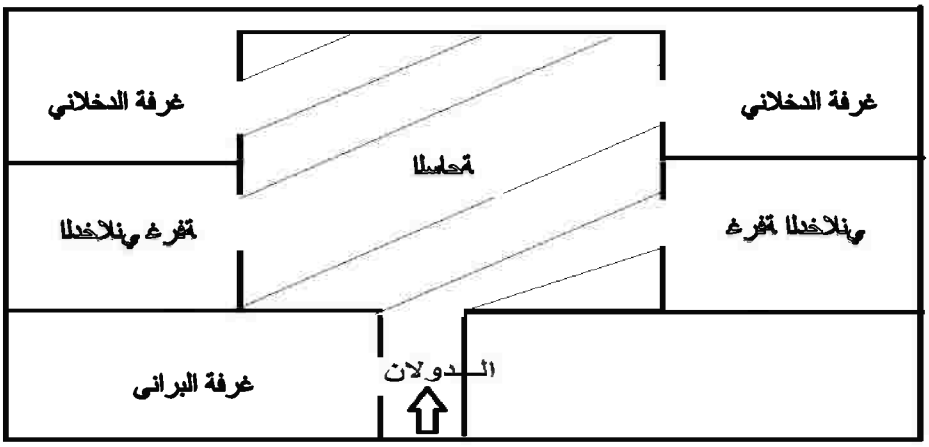

شكل رقم (٢٢) نموذج عن شكل البناء القديم ، (اعداد الطالبة)

وكانت هذه المحلات السكنية ترتبط بالمنطقة التجارية المركزية بطرق ملتوية و ضيقة .وقاية من مياه الأمطار والحرارة والبرودة حيث كانت المنطقة التجارية المركزية تتوسط مدينة الكوفة متمثلة بتجارة الجملة والمفرد إلى جانب قيام بعض الصناعات القريبة من النهرمثل صناعات طحن الحبوب و الحدادة والصناعات اليدوية و الحرفية العديدة و قد لعب الجسر الحديدي الحديث الذي اقيم عام ١٩٥٢م بدل الجسر الخشبي القديم دورا في تعزيز الهجرة للمدينة من ضواحي و نواحي قضاء الكوفة، كما احتل الجانب الأيمن لنهر الكوفة الصدارة في التوسع العمراني دون الجانب الأيسر الذي بقي دون تطور يذكر و ربما كان من أسباب ذلك ان الجانب الأيسر معرض للفيضانات بشكل أكبر لانخفاض مستواه بـ(٥_ ٦) امتار عن الجانب الأيمن، إضافة إلى عدم وجود مواصلات سريعة و رخيصة في تلك الفترة تساعد على انتشار حركة العمران في هذا الجانب الآخر من النهر و قد ساعد رسو القوارب المحملة بالبضائع و بمختلف المواد من الجانب الأيمن دون الجانب الأيسر للنهر و لمدة طويلة على تشجيع توسع هذا الجانب أيضاً.

وما أن ظهرت مدينة الكوفة الحديثة قرب أطلال الكوفة القديمة حتى أخذت هذه المدينة تتسع في مساحتها كثيرا ويعود ذلك لقربها من مدينة النجف ووقوعها في قلب الفرات الأوسط مما جعلها مركزًا تجاريًا لتوريد وتصدير أكثر منتجاتها إلى النجف للاستهلاك والتسويق إلى البادية (الاسدي،١٩٨٥م، ص١٧٧)، إما المسجد الحالي في المدينة فقد أقيم على بقايا المسجد القديم و كانت قصبة الجسر التي تقع إلى مسافة كيلو متر واحد عن المدينة هي مركز مدينة الكوفة و هي مركز التجارة في الفرات الأوسط وكانت هذه القصبة ترتبط بالنجف بسكة ترام طولها ٩٦٠٠ متر أنشأتها شركة أهلية عام (١٢٨٣هـ/١٨٦٧م) ثم رفعت سنة(١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م).

صورة رقم (١) استخدام الخشب قديما في البناء ، تصوير الطالبة ٢٠١٤/٢/٢٣م

صورة رقم (٢) الشناشيل الخشبية في احد ازقة الكوفة ، تصوير الطالبة ٣٢/ ٢/ ٢٠١٤م

وفيما بين عامي ١٨٧٠ /١٩٢٠م ظهرت محلات قديمة أخرى متمثلة بمحلة الجديدة و قرية السهيلية القريبة من مسجد السهلة القديم و كانت مراحل التوسع العمراني بجانب النهر و على الطريق الرئيس الذي يقطع المدينة قادما من الحلة الكوفة النجف. استمرت محلات (احياء) سكنية أخرى في الظهور و هي محلة الرشادية الأولى والثانية (الكريشات) وهذا ما بين عامي (١٩٢٠/ ١٩٥٠م)، وظهور محلات كندة و المعلمين بين عامي (١٩٥٠/ ١٩٧٠م). الخدمات .

رابعًا- المخطط الأساسي للمدينة عام ١٩٧٤- ١٩٨٢م:-

ظهرت في هذه المرحلة سمات التطور والتصميم بشكل يتناسب مع تطور السكان المستمر وتوفير الخدمات العامة وفق خطة مدروسة ومن اهم المحلات والاحياء الجديدة في هذه المرحلة هي محلات ١٧تموز وحي الشعراء ما بين ١٩٦٥- ١٩٧٥م، كما في شكل (٢٣) استمرت المدينة في فترة الثمانينيات بالتوسع و ظهور أحياء جديدة تقع إلى جنوب المدينة غرب الطريق العام المؤدي إلى النجف ومنطقة كري سعدة (قناة ري) جنوب وأمام مسجد السهلة غربًا وهي أحياء المتنبي وحي الشرطة وحي الشهداء والعسكريين وحي ميسان، وتمتد هذه الفترة من قيام ثورة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨م حتى عام ١٩٧٤م .

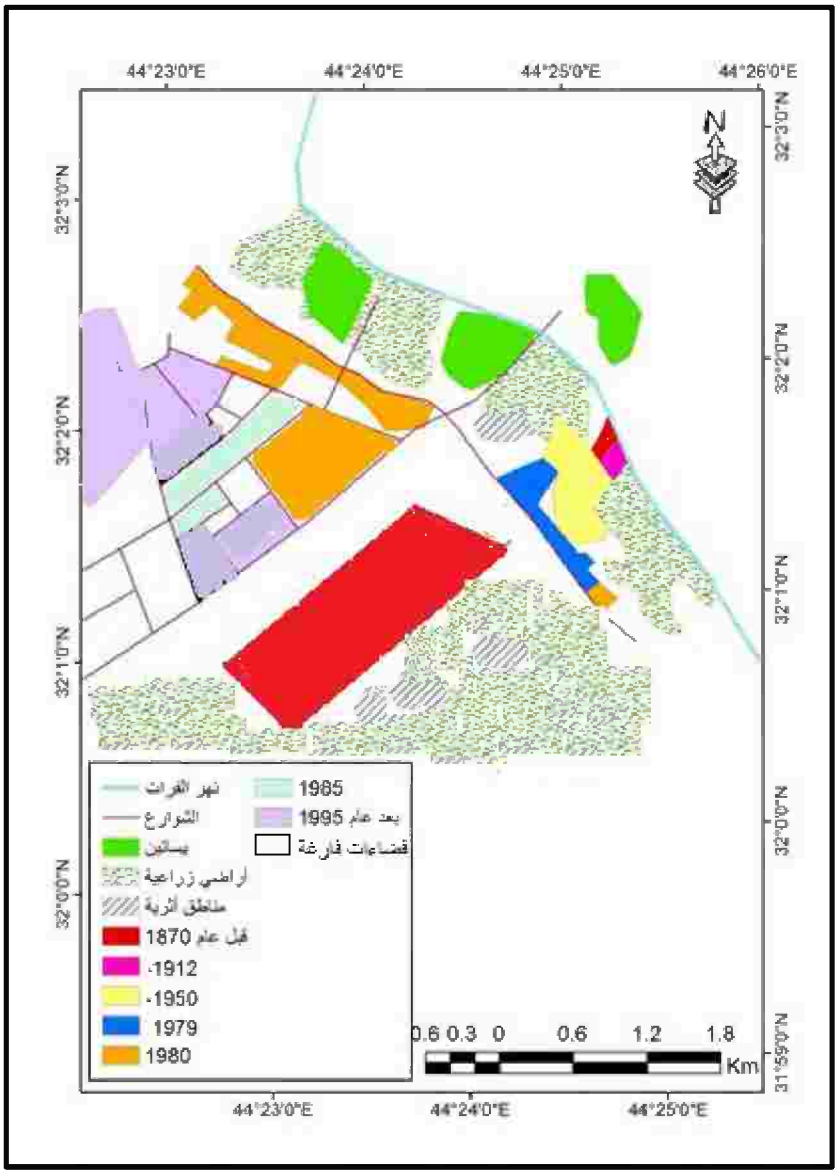

شكل رقم (٢٣) مراحل نمو المدينة قبل عام ١٨٧٠ الى مابعد عام ١٩٩٥

وكان لأنشاء معمل السمنت القديم عام ١٩٧٤م الذي عزز مكانة الكوفة التجارية والصناعية واصبح من المعامل الصناعية المهمة في المنطقة **(تقرير وزارة البلديات والاشغال العامة، المديرية العامة للتخطيط العمراني، ٢٠١٣م، ص٥٠).**

رافق قيام ثورة ١٧-٣٠ تموز عام ١٩٧٥م توزيع قطع أرض سكنية على الموظفين و منتسبي الجمعيات التعاونية لبناء مساكن فظهرت محلات سكنية جديدة كما كان لاستمرار الهجرة إلى المدينة بوتيرة عالية والتي رافقت قيام الجمهورية دورا مهما في نمو مدينة الكوفة السريع وفي زيادة عدد السكان خاصة إذ ما أخذنا في الاعتبار زيادة الخدمات الصحية و التعليمية كما و نوعا و قيام الصناعات التي وفرت فرص عمل جديدة لأبناء المدينة و للمهاجرين على السواء وفي هذه الفترة عام ١٩٧٤م تم تحديد السقف الزمني المخطط الاساسي للمدينة بـ٢٥ سنة ، واهم سمات هذا المخطط يمكن ان نذكرها وفق الجدول الاتي .

جدول رقم (١٦) استخدام الارض في مدينة الكوفة حسب المخطط الاساسي لعام ١٩٧٤م

استخدام الارض	المساحة (هكتار)	النسبة المئوية
السكنية	٢٨٠.٢	%٢٨
المباني العامة	٥٧.١	%٥.٨
شبكة المواصلات	٣٨٢	%٣٨.٢
بساتين ومتنزهات ترفيهية	١٦٧.١	%١٦.٧
الصناعية	٣٠.٠	%٣
الدينية	٧٣.٤	%٧.٣
التجارية	٩.١	%١
المجموع	٩٩٨,٩	%١٠٠

المصدر . المديرية العامة للتخطيط العمراني ،قسم تخطيط المنطقة الوسطى، عام ٢٠٠٨م، ص٢٥

أهم سمات هذا المخطط :-

١- **المنطقة التجارية و الخدمات:** لم يحدد المخطط الأساسي منطقة تجارية للمدينة اعتمادًا على المنطقة التجارية المركزية التي تتوسط المدينة القديمة ولم يقم بتوزيع الخدمات الأخرى على المستويات القطاعية عدا ذلك الاقتراح حول البرامج الإسكانية بتثبيت مركز قطاعي بمساحة واحد هكتار فهو يخدم المناطق السكنية الجديدة التي كان ينتظر الانتهاء منها جميعا عام ١٩٩٥م، وضمن مراحل أما بالنسبة للخدمات التعليمية و الصحية فهي موزعة ضمن الأحياء الجديدة وفق المخطط.

٢- **منطقة الخدمات الثقافية:** حدد المخطط الأساسي لسنة ١٩٧٤م المنطقة الثقافية بمثلث ينحصر ما بين المنطقة الأثرية ودار الإمارة شرقا وحي ١٧ تموز جنوبا وشارع النجف والكوفة غربًا وبمساحة ١٣.١هكتار وتشمل هذه المساحة كثير من المناطق الأثرية و الدينية والتي رغم إدراجها ضمن المنطقة الثقافية إلا أنه لم يحدد نوعها.

٣- **المنطقة الصناعية :** حدد المخطط منطقتين أحداهما للخدمات الصناعية غرب وشمال غرب المدينة بمساحة ١٥.٣هكتار والأخرى للصناعة شرق وجنوب شرق المدينة بمساحة ١٥هكتار. (شلال،٢٠٠٢م،ص ص ٩/ ١٠).

٤- **مركز المدينة :** يقع في القسم الجنوبي من محلة الجمهورية حاليا و بمساحة إجمالية قدرها ١٣,٧٥هكتار

٥- **المناطق الترفيهية:** لم يحدد المخطط الأساس اماكن الترفيه في المدينة تحديدا واضحا فقد ترك منطقة خالية (حاليا جزء من سكن محلة الكريشات) بمساحة ١١,٧ هكتار ولم يحدد المخطط آنذاك فيما إذا كانت تلك المنطقة الخالية ستستخدم للأعراض الترفيهية أو لآي غرض آخر.

أما البساتين فقد حافظ المخطط على منطقة بمساحة ١٦,٥هكتار مثلما هي دون أن يحاول التجاوز عليها بتغيير الاستعمال أما الأحياء الجديدة مثل حي ١٧ تموز وحي كندة فقد وفر لها مناطق خضراء بمساحة ٦,٦هكتار. **(تقرير وزارة البلديات والاشغال العامة، مصدر سابق، ٢٠١٣م، ص٥٩)**

٦- **السكن :** حاول المخطط عام ١٩٧٤م أن يلبي الحاجة لتوفير رقعة أرض للأغراض السكنية في حينها و مستقبلاً وعلى هذا الأساس أفرز مجموعة من المساحات، أهمل فيها المخطط الجانب الشرقي للمدينة وقسمت إلى ثلاث مراحل هي:

المرحلة الأولى : وتبدأ من عام ١٩٧٤ حتى ١٩٨٥ م.

المرحلة الثانية : وتبدأ من عام ١٩٨٥ حتى ١٩٩٠ م.

المرحلة الثالثة : وتبدأ من عام ١٩٩٠ حتى ١٩٩٥ م.

وقد تم تخصيص مساحة ٢٨٠,٢ هكتار لتلبية متطلبات المراحل الثلاث وتقع المنطقة السكنية برمتها ضمن الجانب الأيمن(الصوب الكبير) وقد تحاشى بهذا اعتماد محاور أخرى للتوسع لاعتبارات منها وجود المناطق الزراعية والبساتين الخصبة التي تحيط بالمدينة كذلك لم يحاول التوسع من الجهة الشمالية الشرقية باتجاه معمل الأحذية الحكومي لاعتبارين متناقضين الأول كون المنطقة زراعية والثاني احتمال التوسع الصناعي في المنطقة.

٧- **شبكة المواصلات:** اهتم المخطط الاساسي بتخطيط الشوارع العريضة٤٠- ٦٠متر محاولا ربط أقسام المدينة خارج حدود المناطق السكنية إضافة إلى تخفيف الزخم على الشارع الرئيسي المؤدي إلى النجف باقتراح بناء جسر ثاني وأوجد التصميم شارعا وسطيا يصل بين وسط المدينة إلى جانبيها الشرقي و الغربي و باتساع ٤٠ متر و هناك شوارع قطاعية و محلية و شوارع خدمة باتساع على التوالي ٣٠ متر و٢٠ متر و ١٢ متر كما حاول المخطط ربط المحلات السكنية بواسطة الشوارع القطاعية لتصب اخيرا في الشارع الرئيس المؤدي إلى النجف باتساع ٦٠ متر أي أن التصميم اهتم بتصنيف الشوارع و تحديد وظائفها أما بالنسبة للشارع المؤدي من المدينة عبر الجسر نحو الحلة لم يضف عليه تغييرا وإنما بقي على اتساعه.(**الاسدي، ١٩٨٥م، ص١٨١**)

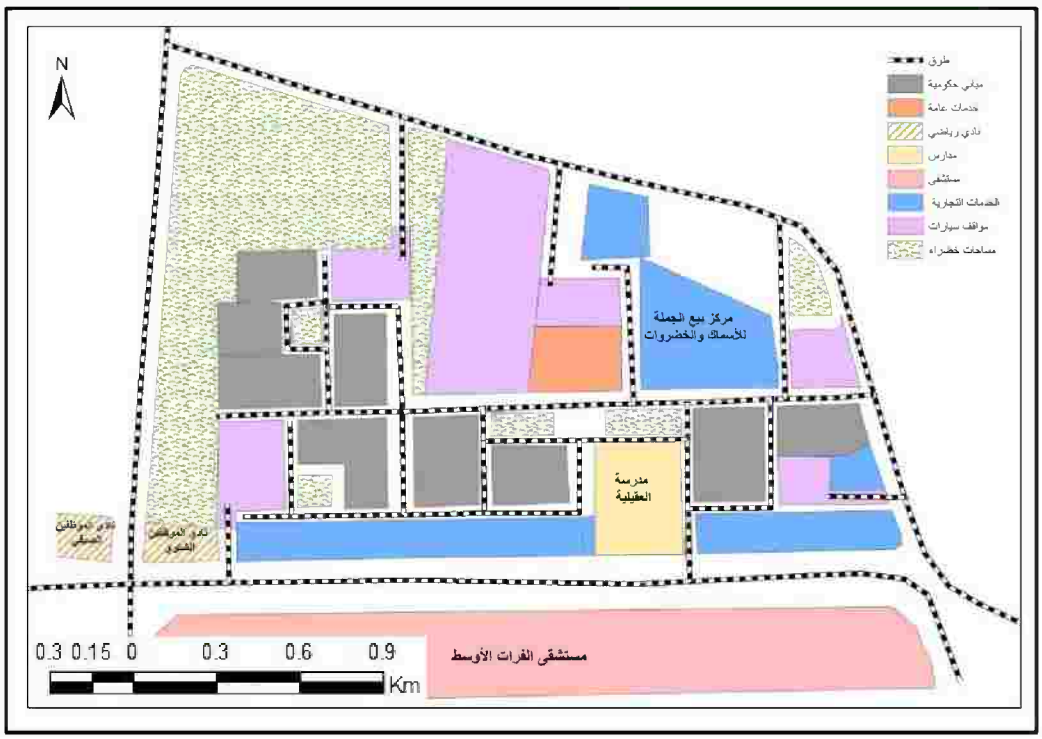

شكل رقم (٢٤) مخطط مركز مدينة الكوفة عام ١٩٧٤م

وفي عام ١٩٨٢م اعيد المخطط الاساسي للمدينة الذي خطط له عام ١٩٧٤م وكان لعدة اسباب منها:

١ - معالجة الجوانب البيئية و الصحية التي أهملها التصميم السابق.

٢- الحفاظ على المناطق الأثرية.

٣- تأمين الاحتياجات السكنية المستقبلية لغاية عام ٢٠٠٠ م و التي لم يستطع المخطط تنفيذها.

٤- زيادة نسبة الفضاءات و الخدمات في المناطق الجديدة التي حددها.

٥- حل مشكلة المركز المدني في المدينة و توفير الأرض للأبنية الحكومية.

٦- الحفاظ على الأراضي الزراعية وتركها دون التوسع على حسابها .

٧- تأمين الأراضي للأغراض الصناعية والخدمات.

٨- توفير الارض اللازمة وتأكيدها لمحرمات جامعة الكوفة الكبيرة. **(شلال، ٢٠٠٢م، ص١٥)**

أن معالجة هذه الجوانب يعني ضرورة توفير المزيد من الأرض للتوسع مع بقاء نفس المتطلبات الأساسية و اعتماد نفس الزيادة المتوقعة للسكان مستقبلا و هكذا اقترح التعديل توسيع المدينة عبرالضفة اليمنى من النهر للأسباب التالية:

أ- انخفاض أراضي الجانب الشرقي ر واحتمال تعرضها للفيضانات مع ارتفاع ملحوظ في نسب الماء الجوفي، حيث يمكن معالجة ذلك واستخدام الارض لصالح المدينة.

ب- توفر الخدمات العديدة في الجانب الغربي (الأيمن)على خلاف الجانب الشرقي (الأيسر) **(الاسدي، ١٩٨٥م، ص١٨٥)**.

ج - الاتجاه إلى فكرة عزل الجانب الشرقي (الايسر) لنهر الفرات و جعله منطقة خدمات صناعية و مشاريع حكومية(صومعة الارز، المعهد الفني، محطات وقود، بنايات حكومية أخرى)

جدول رقم (١٧) استخدامات الارض في مدينة الكوفة حسب المخطط الاساسي لعام ١٩٨٢م.

استخدامات الارض	المساحة (هكتار)	النسبة المئوية
السكنية	٦٧٣	٤٥,٣
المباني العامة	٥,٣	٠,٤
شبكة المواصلات	٤٢٦	٢٨,٦
بساتين ومتنزهات ترفيهية	١٦٨	١١,٣
الصناعية	٨	٠,٥
الدينية والاثرية	٢٠٠,٧	١٣,٥
التجارية	٦	٠,٤
المجموع	١٤٨٧	%١٠٠
المصدر . المديرية العامة للتخطيط العمراني ،قسم تخطيط المنطقة الوسطى، ص٢٦		

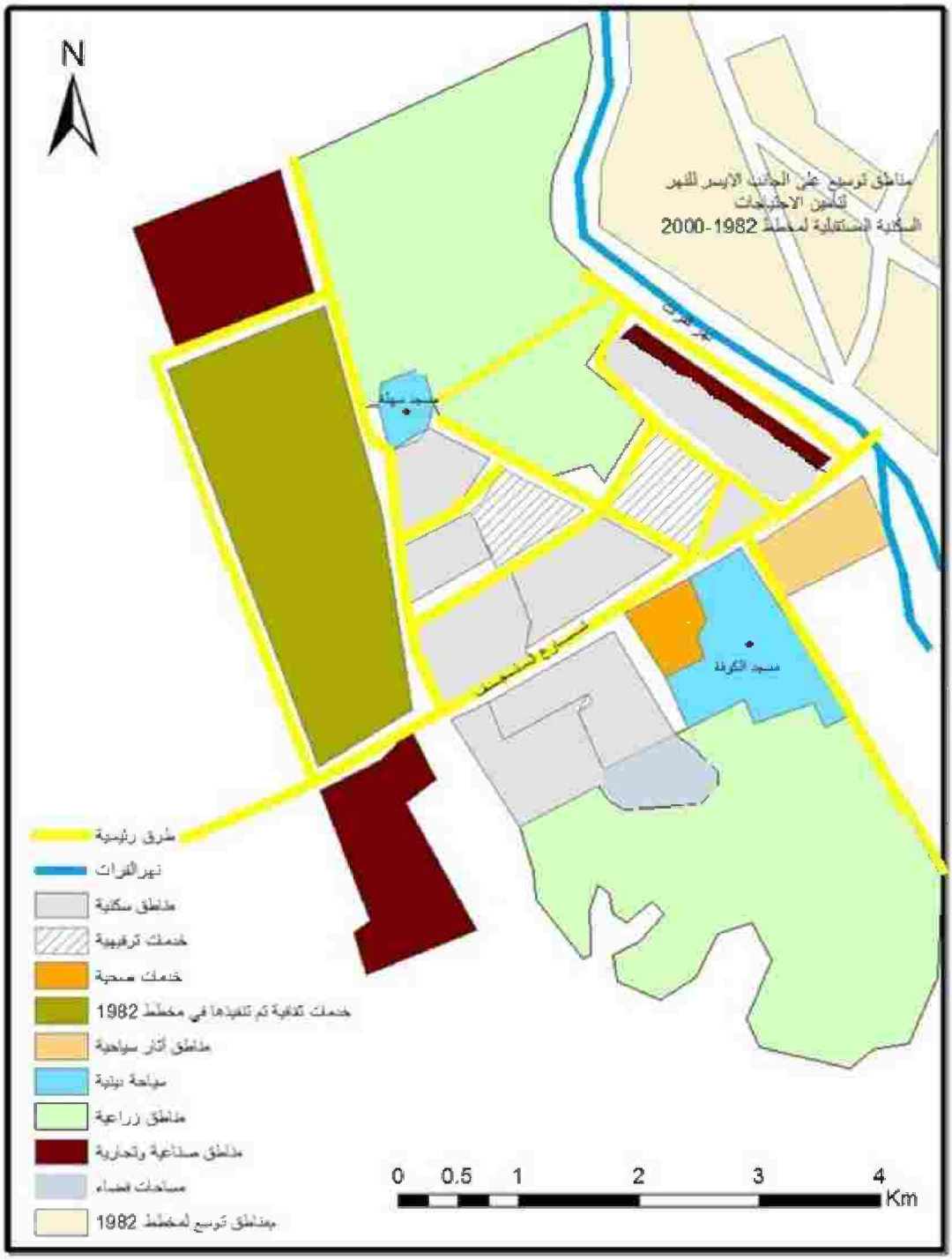

شكل رقم (٢٥) مخطط مدينة الكوفة عام ١٩٧٤م، وأضافات مخطط ١٩٨٢م

ويتضح ان اهم سمات هذا التعديل من الجدول رقم (١٧) مايلي :

١- **السكن :** لقد انصب اهتمام المخطط على السكن الأفقي و اختار منطقة بمساحة ١٦٧ هكتار منها منطقة تتجاوز حدود مدينة الكوفة مع قضاء النجف و المتمثلة في (كري سعدة) و منطقة أخرى ضمن الحدودالغربية للمدينة المتمثلة بحي الشهداء و العسكريين، و جاء تنفيذ الحاجة السكنية وفق المراحل الآتية:

المرحلة الأولى و تبدأ من عام ١٩٨٢ م حتى ١٩٩٠ م.

المرحلة الثانية و تبدأ من عام ١٩٩٠ م حتى ١٩٩٥ م.

المرحلة الثالثة و تبدأ من عام ١٩٩٥ م حتى ٢٠٠٥ م.

وضعت المخططات لهذه النطاقات السكنية وقسمت إلى أحياء سكنية وكل حي يتضمن أربع محلات سكنية وربط تصميم النطاقات بشوارع تفضي إلى مدينة النجف و الكوفة فضلا عن الشوارع الفرعية التي تخرج نحو الأحياء السكنية أما بالنسبة للأحياء القائمة فقد أبقي عليها دون تغيير عدا ربطها بشوارع حلقية تم اقتراحها لتحيط بها و تنتهي إلى الشارع المؤدي إلى النجف. **(شلال،٢٠٠٢م، ص١٠)**

٢- **التجارة و الخدمات :** توزيع الأسواق و المحلات التجارية في المدينة كالآتي:

- **الطرق التجارية :** و التي تخدم المدينة ككل و هي تقع في قلب المدينة القديمة إضافة إلى الشوارع التجارية المتمثلة بشارع الجسر وشارع الجمهورية ومرقد مسلم بن عقيل(رض) وشارع السكة والذي يمتد بشكل عرضي فيقسم محلة الجديدة إلى قسمين أما الجانب الصغير يعتمد في خدمته على المنطقة التجارية الرئيسية مع العلم أنها تحوي تجارة المفرد و الجملة.
- **الاسواق الشعبية :** اقترح المخطط الأساس توفير مراكز معينة عند الأحياء السكنية لتقديم الخدمات بشكل يتناسب مع الوحدات السكنية في الحي و قام المخطط الأساس بتحديد منطقة مركز المدينة في مكان مستقل. **(تقرير وزارة البلديات والاشغال العامة، ٢٠١٣م، ص٥٩)**

٣- **الخدمات الاجتماعية و الترفيهية:** لقد أبقى المخطط الأساس لعام ١٩٨٢م المعدل على المدارس للمراحل الدراسية المختلفة و أبنية الخدمات الصحية و المثبتة في مخطط عام ١٩٧٤ م وقام بتحديد المساحات اللازمة لأبنية المدارس المختلفة ضمن الأحياء الحديثة التي خصصتها و تحديد المساحة المخصصة لجامعة الكوفة وتوسعها المستقبلي.

أما بالنسبة للمناطق الخضراء فقد تم تحديدها ضمن المخططات للأحياء السكنية الحديثة فضلا عن توزيعها بشكل يتناسب و مستوى المحلة السكنية والحي والقطاع، كما اقترح متنزه عام يخدم المدينة إلى الشرق من المركز المدني؛ كما حافظ على المناطق الزراعية داخل حدود المخطط وكذلك تم تحديد أبنية المرافق الترفيهية كالنوادي الرياضية ومراكز النشاطات الاجتماعية ضمن الأحياء الحديثة.

٤- **الصناعة** : حدد المخطط لعام ١٩٨٢م رقعة جديدة للخدمات الصناعية و إلغاء المنطقة الصناعية السابقة التي اقترحها المخطط السابق وهذه الرقعة الجديدة تقع على محور طريق الكوفة — العباسية— الحلة الا انه لم يتم تنفيذ هذا المقترح حتى الان .

٥- **خدمات المرافق العامة:** ابقى المخطط الحالي على ابنية المرافق العامة، فأبقى مشروع الماء القديم عند الطرف الشمالي الغربي الذي اكتمل في الوقت الحاضر— ومحطة الكهرباء الثانوية ومحطة معالجة المياه الثقيلة التابعة لمدينة النجف والتي كانت قد حددت بعد صدور المخطط الاساسي المعدل لسنة ١٩٨٢م وهي تقع شرق المدينة. **(شلال، ٢٠٠٢م، ص١٢)**

٦- **شبكة المواصلات** : اهتم المخطط الأساس لعام ١٩٨٢ م بشبكة الطرق الإقليمية مثل الطرق التي تتصل بطريق الكوفة — الحلة بواسطة الجسرين المقترحين و كذلك الطريق المؤدي إلى معمل الاسمنت من جهة الصوب الصغير والذي سهل تلافي دخول ناقلات الاسمنت الكبيرة إلى المدينة وما تسببه من ضجيج و عرقلة لحركة المرور و هذا الطريق يلتقي مع الطريق القديم المؤدي إلى معمل الاسمنت و يفضيان الاثنين معا إلى الطريق المؤدي لمدينة الديوانية. وحاول المخطط تلافي مرور السيارات داخل المدينة باقتراح طرق و جسور اخرى تمتد في شوارع قطاعية و محلية و شوارع خدمة باتساع يتراوح بين ٣٠ مترًا و٢٠ مترًا و١٢ متراً كما حاول المخطط ربط المحلات السكنية بواسطة الشوارع القطاعية لتصب اخيرا في الشارع الرئيس المؤدي إلى مدينة النجف و باتساع ٦٠ مترًا أي أن المخطط اهتم بتصنيف الشوارع و تحديد وظائفها أما بالنسبة للشارع المؤدي من المدينة عبر الجسر نحو الحلة لم يضف عليه تغييرا.

خامسًا- مواد البناء المستخدمة:-

ان مواد البناء المستخدمة في مدينة الكوفة القديمة متشابهة مع مواد البناء المستخدمة في بقية انحاء العراق بسبب توفر هذه المواد بسهولة وملائمتها مع البيئة العراقية وكذلك التواصل الحضاري لتقاليد العمارة والبناء لألاف السنين ,وتعتبر مدينة الكوفة ارض رسوبية يشكل الطين مادتها الاساسية. وهذه المواد هي :

١-الطابوق الطيني المفخور (الاجر):-

يستخدم الطابوق المفخور(الاجر) بصورة شائعة في الابنية القديمة ولايزال استخدامه مشهورا إلى الوقت الحالي، يعتبر العنصر الرئيسي في معظم ابنية المدينة وخاصة الدينية منها. ويتميز بوفرة مواده الاولية وسهولة صناعته وسهولة استخدامه في البناء وقلة تكلفتها. ويتميز بمقاومة جيدة للحرارة والصوت بالإضافة إلى مرونته ومطاوعته بحيث يعطي تشكيلات زخرفية معقدة. يستخدم الاجر بصورة كبيرة في بناء القباب والسقوف المعقودة واقواس المداخل ويستخدم معه مادة محلية متوفرة وشائعة هي مادة الجبس

(الجص) التي تساعد بتماسك الطابوق بصورة سريعة وقوية كما في الصورة رقم (٣)..

٢-البلاط المزجج (القاشاني):-

يستخدم الطابوق المفخور(الاجر) بصورة اخرى بعد ان يتم طلاءها بأصباغ ترسم عليها اشكال هندسية بالوان متعددة لغرض استخدامها في الزخارف والتزيين .تطورت صناعة القاشاني في العراق خصوصا في العصر العباسي بعد ان تعرف العباسيون على بعض انواع الخزف الصيني ذي التعريقات والبقع الملونة .وصنعت من الاجر اشكال لوحات زخرفية او اقسام تؤلف في حالة رصفها اشكالا وزخارف هندسية ونباتية وكتابات وانواع الخطوط وخصوصا الخط الكوفي الذي استعمل بكثرة في كتابة الآيات القرآنية.ويستخدم في بناء المساجد كما في الصورة رقم (٤)

صورة رقم(٣) استخدام الطابوق المفخور في البناء في مركز الكوفة بصورة واسعة .تصوير الطالبة، بتاريخ ٢٠١٤/٢/٢٢م

صورة رقم (٤) الاشكال الهندسية الحديثة في بناء مسجد الكوفة ، تصوير الطالبة بتاريخ ٢٠١٤/٢/٢٢م

٣-الجبس (الجص) والبياض:-

الجص من المواد الرابطة للاجر ويصنع من حرق حجر الجبس غير النقي الذي به نسبة قليلة من الرمل، ثم يسحق ويصفى من الشوائب، وفي حالة كون صناعته جيدة فانه يتماسك ويتصلب بسرعة ويؤدي إلى ترابط صفوف الاجر بشكل قوي ومتين .ويستخدم الجص ايضا بعد عزل الشوائب عنه وخلطة مع مادة بيضاء تسمى (البورك) الذي يصنع من حرق حجر الجبس(كبريتات الكالسيوم المائية) بدرجات

حرارة واطئة وفي هذه الحالة يعطي للجص بياضا ويستخدم في اكساء واجهات الجدران الداخلية وتسمى هذه العملية بالبياض. وعملية البياض تساهم ايضا في تماسك الجدار وتجعله اكثر قوة ومتانة .وقديما استخدمت (النورة) وهي تصنع من حرق حجر الكلس (كاربونات الكالسيوم) بدرجات حرارة عالية بعد خلطها بالرماد لربط مواد البناء في الاسس بسبب مقاومتها العالية للرطوبة.

٤- القار الاسود:

من مواد البناء التي يكثر وجودها في العراق وتطفو على سطح الارض في بعض المناطق مثل القيارة وهيت ,يشكل القار مادة لاصقة للبناء بعد خلطه مع مواد تزيد من كثافته النوعية وتقلل سيولته الشديدة وتمنع سيلانه عند درجات الحرارة العالية في الصيف ,ويستخدم القار قديما في تغليف الاحواض المائية وقنوات تصريف المياه في المباني التراثية. ويقتصر استخدام القار على تغليف احواض المياه وقنوات تصريف المجاري ويستخدم كذلك بفرشه على السطوح كمادة عازلة للرطوبة وتمنع تسرب الرطوبة والمياه إلى باقي طوابق الابنية.

٥-الخشب :-

من مواد البناء المستخدمة وتمتاز بقلة الانواع الجيدة المتينة المقاومة للأثقال والعوامل الجوية، ومن الاخشاب المتوفرة في العراق جذوع النخيل، وجذوع أشجار الحور (القوغ) ومتوفر بكثرة في شمال العراق ويمتاز باستقامة جذوعه ومتانة مادته، ويستخدم في تسقيف الغرف لكن عند مقارنته مع انواع الخشب المستوردة فانه اردأ منها.

ويدخل الخشب على نطاق واسع في استخدامات البناء فهو يستخدم في صناعة الابواب والنوافذ والزخارف الخشبية وصناعة الاعمدة ذات التيجان المزخرفة (الدلكات) ويستخدم ايضا في تغليف الواجهات الداخلية للجدران والسقوف، وكان يستخدم في بناء غرف الطابق العلوي في الابنية القديمة حيث تستخدم دعامات عمودية وافقية من الخشب وتملا الفراغات بينها بمادة الاجر ,ويستخدم الخشب ايضا في بناء الشناشيل او الشرفات الخارجية للبيوت التي تطل على الازقة، حيث تبنى هذه الشناشيل من الخشب بدلا من الاجر لخفة وزن الخشب ولكونه مادة عازلة للحرارة بسبب تعرض الشناشيل المستمر لأشعة الشمس. ونلاحظ أن البيوت التراثية القديمة استخدمت انواع الخشب المستورد في تسقيف الغرف، لذلك امتازت بمتانتها ومقاومتها لعوامل الزمن وذلك الاستخدام كان قبل شيوع استخدام مقاطع الحديد.

وقد استخدمت الأخشاب في البناء في المرحلة السابقة ولكن بعد التطور الذي حدث بصورة تدريجية تم الاستغناء عنها واستخدام مواد بناء افضل .ومن هذه المواد السيراميك الذي يستخدم لكساء

الارضيات وتزين الجدران وواجهات البيوت والمباني الحكومية والفنادق الحديثة وكذلك استخدام الحجر الجبلي والرخام في البناء الحديث والذي يمتاز بمقاومته للظروف الطبيعية مثل الحرارة والامطار. كما في الصورة رقم (٥) .

اما تطور الطراز العمراني بين المراحل التي مرت بها المدينة فهو يختلف من مرحلة إلى اخرى فقد تميز بالاختلاف وعدم التجانس ووجود اختلافات متنوعة فيها من حيث الشكل والحجم كونها تعد مؤشراً واضحاً للمستوى الأقتصادي والاجتماعي للمساكن، فهي تعكس نوعية الحياة التي يعيشها الإنسان لأنها مؤشرٌ لحياته المادية؛ وتقسّم المدينة إلى نوعين من حيث مستوى المعيشة، يكون **النوع الأول** ويشغلها الموظفون وذوو الدخل المحدود إذ تتراوح مساحتها من ١٠٠-٢٠٠م^{٢}، وتشغل مساحة البناء نحو ٨٠-٨٥% من المساحة الكلية، وتحتوي على حدائق واسعة في مقدم الوحدة السكنية وآخرى خلفها ويكون الطابوق وآجر الأسمنت (البلوك) من أهم مواد البناء المستخدمة .

صور رقم(٥) استخدام السيراميك لتزين واجهات المباني، تصوير الطالبة ٢٠١٤/٢/٢٢م .

أما **النوع الثاني** فكان نتيجة التطورات الاقتصادية والتحولات الاجتماعية والثقافية ولتحسن المستوى المعاشي فضلاً عن التطور التقني في وسائل التدفئة والتبريد، وللتأثيرات الثقافية والاقتصادية والسكنية لمن قدم من الدول العربية والغربية إلى المدينة، إذ إن هذه التحولات التي عاشتها المدينة وما نجم عنها من تغير في نمط حياة السكان أدت إلى بروز الاعتبارات الاقتصادية في تصميم الوحدة السكنية وتحديد

مساحتها واختيار المواد المستخدمة في إنشائها، كما أنها تتصف بكبر مساحتها التي تتراوح ما بين ٣٠٠-٦٠٠م٢، وهناك (الشرفات) والأبواب الخشبية التي ترتفع أكثر من خمسة أمتار وثمة استعمال كبير من مواد حجر الحلان والسيراميك والمرمر والألمنيوم (الحجامي، ٢٠٠٥م، ص٧٤) .

ولم يراع في تخطيط هذا النوع من الوحدات السكنية الشخصية المعمارية للتراث، حيث أن التغير في الطراز العمراني لهذا النوع من الوحدات هو استجابة للتعبير عن روح العصر الذي نعيش فيه، من خلال استعمال بعض الأشكال التي تعبر عن تقنيات الحديثة ، فيبقى المضمون ثابتاً وهو الذي يعطي الوحدة العمرانية هويتها، وهذا ما لوحظ في الوحدة السكنية في الأحياء السكنية التي ظهرت في مدينة الكوفة، خلال حقبة التسعينيات من القرن العشرين. (العاني، ٢٠٠١م، ص٢)

سادسًا- إرتفاعات المباني:-

يعتمد نجاح المبنى بصورة أساسية على نوعية المساهمة التي يقدمها للفضاء العام مثل واجهته نحو الشارع وطرازه المعماري وإضفاء طابع الحيوية له للتأكيد على أن الفضاء مستخدم استخداما جيدًا، وهذا التفاعل بين المباني والفضاء العام يحدد العلاقة بين الداخل والخارج والمبنى المفتوح والعام والخاص؛ وهناك عوامل تساهم ايجابيًا في شكل المبنى منها واجهة المبنى الحيوية وأشكال الأبواب والنوافذ المتكررة، واختلاف ذلك مع الواجهات الضيقة، وأمكانية عمل جدران من الزجاج الشفاف لأظهار الإستعمالات الداخلية المنظورة من جهة الشارع أو الموجودة على جهتي الشارع، كما يمكن لملامح التصميم أن تجعل المبنى مطلاً على الشارع حيث يكون مناسبًا مع المباني المجاورة وذلك بأن تكون مكملة لها من حيث التصميم والوظيفة وإثراء النسيج الحضري للمنطقة والتركيب والتباين الكلي لواجهات المباني المختلفة والمنظورة عن قرب أو عن بعد. وبناء على الدراسة الميدانية للطالبة وجد انه ارتفاعات المباني في مدينة الكوفة يقع ضمن نظام واحد في اغلب الاحياء السكنية وهو وجود طابق واحد (أرضي) وفي بعض الاحياء طابقين أرضي وأول ، حيث يكون ارتفاع الطابق غالبًا ٤ أمتار على الأقل،وذلك لتخفيف اثر الحرارة الشديدة في فصل الصيف ولايزيد ارتفاع أي جزء من الطابق الواحد على ٦,٤ أمتار يقاس بمقدار ١,٥متر من السطح المكتمل لأرضية الطابق. (وبتطبيق نفس القاعدة، يجب أن لايزيد ارتفاع البناية السكنية ذات الطابقين على ٦,٧ أمتار والبناية ذات الثلاثة طوابق على ١٠,٥ أمتار) بالنسبة لمباني الشقق التي تزيد على ثلاثة طوابق تطبق عليها تعليمات مختلفة .

جدول رقم (١٨) ارتفاعات المباني في مدينة الكوفة (حسب الدراسة الميدانية)

ارتفاع المبنى	العدد	النسبة %
طابق ارضي فقط	٣٩٢٠	٤٧.٨
طابق ارضي + طابق اول	٢١٦٠	٢٦.٣
طابق ارضي +طابقان	١٤٥٥	١٧.٨
ارضي +ثلاث طوابق فأكثر	٦٧٠	٨.١
المجموع	٨٢٠٥	١٠٠
المصدر : انشاء الطالبة بالاعتماد على الدراسة الميدانية في ٢٠١٤/٢/٢٣		

ومن خلال جدول رقم (١٨) يتبين ان ارتفاعات المبنى ذات الطابق الارضي فقط بلغ نسبة ٤٧.٨% وهو الارتفاع السائد في المدينة اما اقل نسبة فقد بلغت ٨.١ للمباني ذات ثلاثة طوابق فأكثر .

- **مساحة المباني وارتفاعها:-**

إن ارتفاع المبنى له علاقة بمنطقة التطوير المحيطة به التي لها تأثير مباشر على النوعية الإجمالية للنسيج الحضري؛ لذلك فالمناطق المختلفة سوف تتطلب معالجات كثيرة، فمثلا في المدينة القديمة يكون الهدف هو الحفاظ على نموذج التطوير المركب ذو المدى القصير الذي يعتبر ضروريًا للصفة التي تتميز بها المنطقة، بينما يجب عدم تشجيع المباني التي تزيد عن هذا الأرتفاع والتي تقع مباشرة بجوار المناطق المحيطة بها، وعلى الجهة المقابلة في مناطق التطوير الجديدة نجد هناك مرونة في هذا المجال مع الفارق بين الحجم ولارتفاع الذي يستعمل لايجاد متعة وتنوعًا بصريًا. ويجب الأخذ بعين الإعتبار العوامل التالية:

- المباني العالية تستعمل في المواقع ذات الأهمية المدنية والتجارية أو مجمعات الأنشطة مثل مراكز التسوق المحلية ونقاط تبديل وسائط النقل.
- عمق المبنى (داخل المسكن) يحدد الحاجة إلى الإنارة والتهوية الإصطناعية، فمثلا المبنى الذي عمقه ٩ – ١٣مترًا يوفر الحد الأعلى من الفضاء ذو الإنارة والتهوية الطبيعية.
- تنقسم أعداد الطوابق في حضر المدينة إلى عدة فئات ، فئة فيها طوابق المباني من ٢–٤ طابق وهي فئة محدودة وفئة من ٢–٥ طابق ، وفئة ١–٢طابق وهي فئة منتشرة على نطاق واسع في

المدينة ، ويعود سبب ارتفاع المباني من ٢-٥ طابق الى ارتفاع المستوى المعاشي ولكونها مناطق ذات سياحة دينية ، ويعود انخفاضها من ١-٢ طابق كونها احياء سكنية فقيرة .

جدول رقم (١٩) متوسط ارتفاعات المباني في مدينة الكوفة

الأحياء السكنية	متوسط أرتفاعات المباني	الأحياء السكنية	متوسط أرتفاعات المباني
الشرطة	٢-٤	العسكري	١-٢
الجديدة	٢-٤	السهيلية	١-٢
المعلمين	٢-٤	الجمهورية	١-٢
ميسان	٢-٥	دور الاساتذة	١-٢
الجامعة	٢-٥	السهلة	١-٢
كندة١	٢-٥	١٧ تموز	١-٢
كندة٢	٢-٥	السفير	١-٢
المتنبي	٢-٥	الرشادية	١-٢
المصدر: وزارة التخطيط الهيئة العليا للتعداد العام للسكان والمساكن، ٢٠١١م.			

كما ان الإحساس بالأمن والأمان أمران حيويان في أي تطوير حضري، حيث أن الناس يشعرون بالراحة والثقة باستعمال المناطق التي توجد فيها إنارة جيدة ويمكن أن يشاهدهم ويسمعهم الناس، وهناك مقدار كبير من الدلائل التي تشير بأن المزيج مابين التصميم الجيد والإدارة الجيدة وإشراك الناس تعد عوامل مهمة في ايجاد بيئة أمنة وذلك بتقليل عمليات التخريب وتقليل خوف الناس من الجريمة والعنف، والحل هو إضفاء الأمان في تصميم الفضاء العام.

ليس هناك مساحة موحدة للأراضي السكنية، وتبدأ مساحات الأراضي الحالية من أقل من ١٠٠ متر مربع في المدينة القديمة إلى أكبر مساحة قدرها ٧٥٠ مترًا مربعًا في المناطق الواقعة شمال المدينة، وعمليا تتحدد مساحة الأرض حسب حاجات الساكن الذي سيسكن في الأرض، والشكل العمراني للوحدة السكنية والإمكانية المادية وكم يستطيع الساكن دفع مبلغ من المال.

يتم تحديد قيمة الأراضي بواسطة كلفة البنية التحتية للأرض والموقع، وكلما كان موقع الأرض مرغوب كلما زاد سعر السوق للمتر المربع الواحد للأرض، وعادة تكون الأراضي الكبيرة أغلى سعرًا من

الأراضي الصغيرة، لكن من الممكن للموقع تغيير ذلك، فمثلا قطعة صغيرة من الأرض في داخل أو قر يبة من المدينة القديمة يمكن أن يكون سعر المتر المربع الواحد فيها أغلى من الأرض الكبيرة الواقعة على أطراف المدينة. يتم تحديد مساحة الأرض في مناطق التطوير الجديدة حسب الطبقة المستهدفة التي ستسكن هذه الأراضي، ويجب أن يشمل تخطيط أحد الأحياء أو إحدى المناطق مجموعه معينة من مساحات أراضي الإسكان لاستيعاب قطاعات مختلفة من المجتمع، وهذا يكون مجتمعا أكثر حيوية واندماجا من التخطيط لقطاع واحد من المجتمع، أما بالنسبة لمناطق ومجمعات التطوير الصغيرة فستكون قطعة الأرض الواحدة أكثر قبولا. وكقاعدة عامة سيكون من الأفضل أن تكون الأراضي صغيرة وليست كبيرة لتشجيع التطوير الحضري ذو الكثافة السكانية العالية وذات تكلفة قليلة على أن يتم موازنته مع مواصفات المنطقة المحلية وشكل التطوير المتوقع على كل قطعة أرض.

****

الخلاصة :-

بينت الدراسة أن الكوفة كباقي المدن الاسلامية مرت بعدة مراحل حيث بدات كنواة صغيرة في١٧هـ / ٦٣٨م ثم بدأت بالتوسع لما لها من اهمية تاريخية ودينية كبيرة .

أسسها وبناها القائد سعد بن أبي وقاص عام ١٧هـ /٦٣٨م بأمر الخليفة عمر بن الخطاب (رض الله عنه)، وقد اختيرت لتكون نقطة ارتكاز يستريح عندها الجند من عناء السفر وعناء القتال، ثم أصبحت معسكرًا ثابتًا، فقد أشارت المصادر إلى ان الكوفة دار هجرة ومنزل جهاد، وكانت الكوفة لفترة مقراً لحكم الإمام علي(عليه السلام) وقد ازدهرت في فترة الحكم الاموي ووصلت إلى عظمتها في القرن السادس وأوائل القرن السابع الميلادي، ان المدينة العربية من خلال تاريخها مرت بثلاث مراحل تنموية اذا ماعتمد على الانماط السكنيه معيارا للتغير ويمكن زيادة هذه المراحل حسب طول تاريخ المدينة وبنيتها الوظيفية . وهذه المراحل تبدأ بمرحلة نشأة المدينة حيث تميزت فيها المدينة بالتماسك والاندماج وصغر الحجم وتميزت بانقسامها إلى عدة احياء مع مركز الجامع والسوق اضافة إلى وجود السور الذي يحيط بها ،والثانية تميزت نتيجة اتصالاتها بالمدن القريبة منها ووجود مدن جديدة بالاضافة إلى بعض التغيرات التي طرات على المدينة القديمة نفسها اما المرحلة الثالثة المعاصرة في اعقاب حصول دول المنطقة على استقلالها وماترتب عليه من اعادة التنظيم المكاني للسكان.

وقد تم الاعتماد على هذا التصنيف في مورفولوجية مدينة الكوفة باعتبارها من المدن الاسلامية القديمة والعريقة، وكان هيكل المدينة العمراني محدود الاستخدام التجاري والسكني للأرض، وكان الاستخدام السكني يتصف بخصائص تكاد تكون منفردة عن بيوت المدن الأخرى من حيث البناء والتصميم وفي مقدمتها وجود الأحواض والآبار والسراديب والمقابر وهذا أعطى المدينة خصائص معمارية وتخطيطية وفنية متميزة، ظهرت في سمات التطور والتصميم بشكل يتناسب مع تطور السكان المستمر وتوفير الخدمات العامة وفق خطة مدروسة ومن اهم المحلات والاحياء الجديدة هي محلات ١٧ تموز وحي الشعراء ما بين ١٩٦٥- ١٩٧٥م

وقد وضعت لهذه المدينة الكثير من التعديلات على المخطط الاساسي في عام ١٩٧٤م، وتم تعديلها في عام ١٩٨٢م، وبتطور المدينة نلاحظ اختلاف في مساحات المراكز الترفيهية والدينية والسكنيه والصناعية والخدمات وتحسين الواقع الحضري لها لكن هذا التحسين لن يتوقف لحد معين فقد شهدت المدينة تطورًا واضحًا بعد عام ٢٠٠٣م. كما تناول الفصل عدة عناصر تخص مواد البناء المستخدمة

ومنا الطابوق الطيني المفخور(الاجر) والبلاط المزجج (القاشاني) والجبس (الجص) البياض و القار الاسود والخشب كما تم تقسيم المدينة الى نمطين حسب المستوى المعاشي للسكان حيث تختلف طرق البناء ومساحة الوحده السكنية التي يشغلها الساكن اذا تتراوح بين ١٠٠ – ٢٠٠م٢ وتشغل مساحة البناء فيها ٨٠ –٨٥ % من المساحة الكلية اما النمط الثاني فهو يختلف من حيث طراز البناء حيت تتراوح بين ٣٠٠– ٦٠٠ م٢ وتحتيو على الابواب الخشبيه العالية الارتفاع .

اما ارتفاعات المباني في مدينة الكوفة يقع ضمن نظام واحد في اغلب الاحياء السكنية وهو وجود طابق واحد (أرضي) وفي بعض الاحياء طابقين أرضي وأول مرتفع كما وتختلف مساحات الوحدات السكنية من حي الى اخر .

****